الارض المحتلة؛ زمام المبادرة التكتيكية

مع مرور كل شهر تتعمق حرب المقاومة المدنية في داخل الارض المحتلة، حيث تتصاعد المواجهة وتتجذّر التقاليد الجديدة في تحدي الاحتلال الاسرائيلي. ويتمثل خير دليل على ذلك في قيام قوات العدو بادارة عملياتها ضد أهل الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين وكأنها عمليات قتالية نظامية بتشكيلات كبيرة.

ورافق استمرار الانتفاضة الشعبية في الارض المحتلة توتر ملحوظ في المراكز الفلسطينية في لبنان، ممّا عكس التخوف من وقوع قتال، وتوقع حدوث عدوان اسرائيلي في منطقة صيدا.

حرب الداخل

لم تعد قوات الاحتلال الاسرائيلية قادرة على لجم تطور الانتفاضة الشعبية في الارض المحتلة، كما يظهر من استمرار المواجهات ونمو سجل الشهداء الفلسطينيين. فقد سقط، بين ١٩ تموز (يوليو) و١٥ آب (اغسطس) ١٩٨٨، ٢٢ مواطناً برصاص العدو، فيما جُرح عشرات آخرون. وبذلك ارتفع مجموع عدد الضحايا الفلسطينيين، منذ بدء الانتفاضة، الى ما لا يقل عن ٣٠٤، حسب احصاء غربي (**ميدل ايست انترناشونال**، ١٩٨٨/٨/٢٧). وأوضح المصدر ذاته ان ذلك الرقم شمل ٢٣٠ فلسطينياً استشهدوا حتى ١٥ آب (اغسطس) بفعل الرصاص، و٦١ بفعل الغاز والاختناق، و١٣ بسبب الضرب وغيره. وتطابق ذلك التقدير مع الاحصاء الذي قدمته منظمة التحرير الفلسطينية، حيث أوضحت ان ٢٣٣ فلسطينياً قد استشهدوا بفعل الرصاص خلال الفترة اياها (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ١٩٨٨/٨/٢١). أما الجيش الاسرائيلي، فقد اقرّ، على لسان نائب رئيس هيئة الاركان، اللواء ايهود براك، بمسؤوليته عن مقتل ١٧٠ فلسطينياً بفعل رصاصه حتى ٢٠ تموز (يوليو)، فيما أكد ان «العدد الرسمي» الاجمالي لشهداء الانتفاضة بلغ ٢١١ حتى التاريخ عينه (**السفير**، بيروت، ١٩٨٨/٧/٢١). وباضافة احصاءات الشهر الاخير، فان تقدير الجيش الاسرائيلي لعدد ضحايا الرصاص يبقى دون الواقع، لكن بفارق اصغر من السابق، علماً بأن التقدير الاجمالي لعدد الشهداء أقل بسبعين شهيداً تقريباً. ويعود احد أسباب ذلك الى تجاهل وفيات عديدة بفعل الغاز والضرب، بينما ينفي الجيش، أيضاً، مسؤوليته عن حالات القتل بالرصاص التي ينفذها المستوطنون الصهيونيون.

الّا ان عدد الشهداء هو ليس المؤشر الوحيد، او الاهم، على استمرار وتعمق الانتفاضة. بل ان الدليل الاوضح على حيويتها يتمثل في فشل العدو في قمع، او ايقاف، أي من الاساليب التي ابتكرتها، حيث تستمر أشكال المواجهة الشعبية، الجماعية والفردية، العسكرية والمدنية، التي ظهرت منذ بدء الانتفاضة، لتضاف اليها أشكال جديدة باستمرار. وهكذا، ما أن يكاد الاحتلال يطوّر رداً على التظاهرات الكبيرة أو قذف القنابل الحارقة، حتى تندلع الحرائق بالاحراج والمزروعات، وحين ينتشر لمواجهة الخطر الجديد تعود التظاهرات وتعلن القرى ذاتها مناطق محررة.

شهدت الآونة الاخيرة، اذاً، بين ١٩ تموز (يوليو) و١٥ آب (اغسطس)، عودة المواجهات الواسعة فيما بين حشود المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وقد شهدت مدينة القدس مواجهة استمرت لعدة أيام، بين ٢٠ و٢٣ تموز (يوليو)، مما دفع العدو الى احضار تعزيزات اضافية من الشرطة وحرس الحدود، وتحويل المدينة الى ثكنة عسكرية. وتجسّدت الروح الصدامية للمواطنين الفلسطينيين في قيام السكان بمهاجمة مجموعة من الجنود كانت تقتاد معتقلين عند باب العمود، في محاولة لتخليصهم في ٢١ الشهر (**المصدر نفسه**، ١٩٨٨/٧/٢٢). كما اعتقلت الشرطة امرأة عربية من سكان الارض المحتلة العام ١٩٤٨ عند مدخل